المحاضرة الثانية حضارة مصر الفرعونية: الكتابة و الأدب والفنون

يقسم المؤرخون تاريخ الإنسانية إلى عصور، فهناك عصر ما قبل التاريخ، و العصور التاريخية.

مفهوم عصر ما قبل التاريخ

ما قبل التاريخ المصري هو عصر طويل – يقدره المؤرخون بمئات الألوف من السنين - يسبق معرفة الإنسان الأول للكتابة. إنسان ذلك العصر لم يكن يسجل أفكاره أو أعماله بأي شكل من الأشكال، وإنما ترك آثاراً صامتة من الأدوات والأسلحة الأواني وبقايا المنازل والمقابر وغيرها. فالكتابة إذن تعتبر الحد الفاصل بين عصر ما قبل التاريخ والعصر التاريخي. والعصور التاريخية تبدأ باختراع الإنسان للكتابة، وبدء تسجيل ما قام به من نشاط، وما مر به من أحداث. و تقاس أحداث التاريخ بالسنين والقرون، ويلاحظ أن حساب السنين قبل ميلاد سيدنا "عيسى المسيح" عليه السلام يسير باتجاه يتناقص فيه عدد السنوات، أما بعد الميلاد، فإنه يسير في اتجاه يتزايد فيه عدد السنوات،

أقسام عصر ما قبل التاريخ:

عصر ما قبل الأسرات وينقسم إلى: العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث وعصر استخدام المعادن. سميت العصور الحجرية بهذا الاسم لصناعة الإنسان معظم أدواته من الحجر. عوامل ظهور الحضارة المصرية القديمة

أ – العوامل الطبيعية:

1– نهر النيل وفضله العظيم: ساعد نهر النيل على تحول مصر إلى جنة خضراء، والنيل علّم المصريين بناء السفن، فساعد على ترابطهم، وتبادل المحاصيل ونشاط التجارة. النيل علم المصريين الزرع والحساب، والنظام، وشق الترع، وبناء الجسور وتشييد السدود. لقد وجد المصريون القدماء في نيلهم المعلم، ومصدر الحياة الأولى، فعظموه وقدسوه، وعبدوه في شكل إله أسموه "حابى"، ومازلنا نحتفل بعيده وفاء النيل كل عام.

لقد ترك لنا المصريون القدماء الكثير من النصوص التاريخية التي تدل على أهمية نهر النيل في حياتهم. وعن أثر نهر النيل في حياة المصري القديم، يقول أحد هذه النصوص: "سلام

عليك أيها النيل ... الذي يحيى بمائه أرض مصر وما عليها من مخلوقات ونباتات، سلام عليك يا رب الخير ... يا من يروى الصحراء بنداه. إن أبطأت اضطربت القلوب وهلكت الأرواح، وإن أسرعت طابت النفوس وتفتحت الأزهار ."...وعن مكانة نهر النيل فى نفوس المصريين، يقول نص آخر: "مرحى يا "حابى "أنت يا من ظهرت على الأرض لكي تعطى الحياة إلى مصر، أنت يا من تأتى مستخفياً لكي تعطى الحياة لكل ظمآن... "سلام عليك يا رب الخيرات"

2- الموقع الجغرافي الممتاز: لمصر موقع جغرافي ممتاز، فهي ملتقى قارتين كبيرتين هما إفريقيا وآسيا، وهى تطل على بحرين مهمين هما البحر الأحمر والبحر المتوسط ومصر بمثابة القلب من العالم القديم، وحلقة الاتصال بين أقطاره وشعوبه. أيضاً تتمتع مصر بحماية طبيعية، ففي الشمال البحر المتوسط، وفى الشرق والغرب والجنوب تمتد الصحراوات الواسعة التي كانت دروعاً واقية ساعدت المصريين على الدفاع عن بلادهم ومقاومة المعتدين والطامعين في خيراتهم.

3- المناخ المناسب: وهب الله (سبحانه وتعالى) مصرنا العزيزة مناخاً معتدلاً وشمساً مشرقة، وسماء صافية، وهواء عليلاً، فساعد ذلك على نشاط الإنسان وتيقظ عقله، كما أن جفاف مناخ مصر ساعد على حماية آثارها القديمة.

4- وفرة الموارد الطبيعية (الصخور والمعادن): في أرض مصرنا العزيزة يوجد الذهب والنحاس والحديد والفضة وغيرها من أنواع المعادن، كما تتنوع بها الصخور من جرانيت ورخام وأحجار كريمة، ومن هذه الصخور والمعادن صنع المصريون القدماء كل صناعاتهم، و بنوا أهراماتهم، ونحتوا تماثيلهم، وصنعوا حليّهم البديعة، فكانت الصخور والمعادن بالنسبة للمصري القديم أغلى الثروات.

ب – العوامل البشرية

العمل الإيجابي والكفاح المتواصل: أحسن المصريون القدماء استخدام هذه العوامل جميعاً، واستفادوا منها، وفكروا وابتكروا، وبذلوا كثيراً من الجهد، وساد بينهم التعاون حتى حولوا واديهم إلى جنة.

وبذلك تكون الحضارة المصرية القديمة نتيجة التفاعل المبدع بين طبيعة الأرض وطبيعة الشعب الذي سكنها، فمصر ليست "هبة النيل "كما قال المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" منذ آلاف السنين، بل

هي أيضاً نتيجة لجهد المصريين واجتهادهم، وذكائهم، وابتكارهم، ووحدتهم، وتضحياتهم. إذن "مصر هبة النيل والمصريين"، ولولا كفاح المصريين لما ظهرت هذه الحضارة العظيمة.

عصر الدولة القديمة (عصر بناة الأهرام) (الأسرات3–6 (2780–2280ق.م)

نجح الملك "مينا" في تحقيق وحدة مصر السياسية وأسس أول أسرة حاكمة، وقد تدعمت وحدة البلاد في عهد الأسرة الثانية، وشهدت مصر تقدماً في جميع نواحي الحياة، كما تطور استعمال الكتابة المصرية القديمة التي سماها الإغريق "الهيروغليفية". هكذا أصبحت مصر مهيأة لاستقبال عصر جديد، هو عصر الدولة القديمة، والذي يضم الأسرات (3–6).

عصر بناة الأهرام والغرض من بناء الأهرامات

يطلق المؤرخون على عصر الدولة القديمة اسم "عصر بناة الأهرام"، إشارة إلى تلك الأهرامات الضخمة التي نراها جميعاً، والتي بنيت في بطن الصحراء عن يمين الوادي، من إقليم الفيوم جنوباً إلى الجيزة شمالاً. ولكن لماذا بنيت الأهرامات وما هو الغرض منها؟ ترجع الفكرة في بناء الأهرامات إلى اعتقاد المصريين القدماء في خلود الروح، وإلى اعتقادهم في البعث مرة أخرى وبوجود حياة أبدية. لهذا بنى المصريون القدماء مقبرة حصينة توضع فيها الجثة بعد تحنيطها، وتزود بمجموعة كاملة من حاجيات الميت كالأدوات وقطع الأثاث وأنواع الأطعمة والشراب التي كان يستعملها في حياته، حتى إذا ما جاءت الروح وحلت في الجثة، عاد الإنسان إلى حياته الأبدية. ونقشت جدران المقبرة بالمناظر المعتادة، لتدخل السرور على الميت.

أحوال البلاد في عهد الدولة القديمة

كانت مصر على جانب كبير من الخير والرخاء، وكان الأمن سائداً وحياة الناس هادئة مستقرة. وازدهرت الآداب والعلوم والفنون، وتقدمت الرحلات على أيدي الرحالة من أبناء مصرنا العزيزة. كما قامت حركة بناء ضخمة، وذلك بفضل ما توافر لمصر من ثروات طبيعية. وهكذا عاشت مصر أزهى عصورها في عصر الدولة القديمة، هذا العصر الذي اجتمع فيه نشاط الفكر إلى جانب نشاط العمل والتنفيذ.

أشهر ملوك الدولة القديمة وإنجازاتهم

1–الملك زوسر Zoser:

هو مؤسس الأسرة الثالثة الفرعونية بداية الدولة القديمة، وصاحب القبر العظيم فى "سقارة" المعروف باسم "الهرم المدرج"، وقد اتخذ "منف" عاصمة للبلاد، واهتم باستخراج النحاس من سيناء، ومد حدود البلاد جنوباً إلى ما بعد الشلال الأول بعد أن بسط نفوذه على النوبيين.وقد خلد المصريون ملوكهم الموتى في أهرام منها:

1–هرم "زوسر" المدرج بمنطقة "سقارة: هو أول بناء حجري ضخم عرفه التاريخ، يتكون من ست مصاطب شيدت فوق بعضها، مكسوة كلها بالحجر الجيري الأبيض، ومحاط بسور ضخم كذلك من الحجر الجيري. يبلغ ارتفاع الهرم المدرج حوالي 60 متراً، وقد بنيت غرفة دفن الملك من الجرانيت.

وفى عهد الملك "زوسر" ظهر أحد النوابغ المصريين الذين تركوا آثاراً بارزة فى تاريخ مصر وحضارتها، هو الوزير الحكيم"إيمحوتب Imhotep"، وإليه يرجع الفضل فى وضع تصميم هرم سقارة المدرج وتنفيذه.

على هذا الوزير اعتمد الملك "زوسر"، واسند إليه كثيراً من الأعمال، فكان "إيمحوتب" يتولى الإشراف على كل صغيرة وكبيرة، وإلى جانب شهرته في فن العمارة، اشتهر بالحكمة والطب، فأحبه المصريون القدماء وشيدوا له التماثيل. وعن وصف الوزير "إيمحوتب" وزير الملك "زوسر" قيل: "كان "إيمحوتب" كاهن الملك ووزيره وبناءه، عرف الإغريق تاريخه فقدروه، واعتبروه خالق عمارة الحجر، وأول علماء الدنيا وطبيبها الأول، وكان "إيمحوتب" خريج أول مدارس العلم والدين والسياسة في هذه الدنيا.

2 – الملك سنفرو Snefru . أقيم هرم الملك "سنفرو" المنحنى بـ"دهشور" جنوب "سقارة " bent pyramid . وهو مؤسس الأسرة الرابعة، تلك الأسرة التي واصلت رسالة الأسرة الثالثة، فاستمرت في اتخاذ "منف" عاصمة للبلاد، كما كانت أيامها أيام سلام ورخاء. أشتهر "سنفرو " بالإصلاح والقوة، ومن أهم أعماله إرسال أسطول بحري إلى فينيقيا على ساحل بلاد الشام (لبنان حالياً) لإحضار خشب الأرز لاستخدامه في بناء السفن وعمل أبواب القصور. شيد "سنفرو" لنفسه هرمين بـ"دهشور" جنوب "سقارة"، كما عمل على تأمين حدود مصر الشرقية والجنوبية.

3 – الملك خوفو Cheops (هرم الملك خوفو بالجيزة). هو أحد ملوك الأسرة الرابعة، وترتبط شهرته بهرمه الأكبر الذي يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع لضخامة بنائه، وروعة منظره، وجمال

هندسته، وبراعة تصميمه .ويبلغ ارتفاع الهرم الأكبر حوالي 137 متراً، وعدد أحجاره نحو 2,300,000 حجر، فهو بذلك أضخم بناء قديم أقيم على وجه الأرض، ويرى المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" أن بناء هذا الهرم استغرق عشرين عاما.

4–تمثال "أبى الهول" بالجيزة: يبلغ طول التمثال 57 متراً، وارتفاعه 20 متراً، وطول وجهه خمسة أمتار، وطول أذنه أكثر من متر واحد، وفمه متران وثلث.

عصر الاضمحلال الأول (2280–2052 ق.م (الأسرات 7–10):

عصر الاضمحلال الأول هو عصر الأسرات (7–9). وسبب هذه التسمية هو أنه قد انتشرت في البلاد في هذه الفترة الفوضى والاضطرابات، وطمعت في أرض مصر قبائل البدو الآسيويين الذين هاجموا حدود البلاد، وسيطروا على بعض أجزائها.

ملوك أهناسيا – الأسرتان التاسعة والعاشرة:

ظهرت أسرة قوية في "أهناسيا" (بمحافظة بنى سويف)، استطاعت تأسيس الأسرتين التاسعة والعاشرة، وبسطت نفوذها على أقاليم مصر الوسطى وعلى الدلتا. غير أن أسرة "أهناسيا" لم تنجح في إعادة الوحدة إلى البلاد، وإذ نافستهم أسرة قوية ظهرت فى "طيبة" (الأقصر حالياً)، واستطاع أمراؤها القضاء على الأسرة العاشرة فى "أهناسيا"، وإقامة أسرة جديدة هى الأسرة الحادية عشرة، التى بها يبدأ عصر الدولة الوسطى.

عصر الدولة الوسطى عصر الرخاء الاقتصادي الأسرتان 11 و12 (2124–1778 ق.م)

اهتم ملوك الدولة القديمة ببناء الأهرامات، وإقامة المعابد، ونحت التماثيل، على عكس ملوك الدولة الوسطى الذين اهتموا بالمشروعات التي تعود على جميع أفراد الشعب بالخير والرخاء، مثل مشروعات الري، والاهتمام بالزراعة والتجارة، والنهوض بالبلاد نهضة

شاملة فى جميع نواحيها.

أشهر ملوك الدولة الوسطى وإنجازاتهم:

1 – الملك منتوحتب الثانى:

هو مؤسس الأسرة الحادية عشرة، اتخذ موطنه "طيبة" عاصمة لمملكته، وإليه يرجع الفضل فى نهضة البلاد، وإعادة الوحدة إليها، ونشر الأمن والقضاء على الفتن .لهذا قدره المصريون القدماء،

وصوروه بجانب الملك "مينا" موحد القطرين، والملك "أحمس" قاهر الهكسوس ومؤسس الدولة الحديثة

2 – الملك إمنمحات الأول:

كان "إمنمحات الأول" وزيراً لآخر ملوك الأسرة الحادية عشرة، ولما مات الملك دون وريث، أعلن "إمنمحات" نفسه ملكاً على مصر. وبذل جهداً كبيراً لإخضاع حكام الأقاليم لسلطانه. كما اتخذ عاصمة جديدة في موقع متوسط بين الوجهين القبلي والبحري هي "إثيت تاويى" ومعناها القابضة على الأرضين، ومكانها حالياً قرية "اللشت" جنوب مدينة "العياط" بمحافظة الجيزة. قضى "إمنمحات الأول" على غارات الآسيويين والليبيين على أطراف الدلتا، ونجح في تأديب العصاة في بلاد النوبة.

3–الملك سنوسرت الثالث Senusret:

من أهم ملوك الأسرة الثانية عشرة، نظراً لقدرته الإدارية والعسكرية. قاد الحملات بنفسه إلى بلاد النوبة، وأقام بها سلسلة من الحصون أهمها قلعتا "سمنة وقمنة" فيما وراء الجندل الثاني على حدود مصر الجنوبية عند "وادي حلفا". ومدّ حدود مصر إلى ما وراء حدود آبائه، وزاد فيها، وناشد خلفاءه أن يحافظوا على تلك الحدود: "إن من يحافظ من أبنائي على هذه الحدود التي أقمتها فإنه ابني وولدي... وإنه لأشبهه بالابن الذي حمى أباه والذي حفظ حدود من أعقبه ...، أما الذي يهملها ولا يحارب من أجلها فليس بابني ولم يولد منى..." – من نقش للملك "سنوسرت الثالث" على أحد النصب التي أقامها في بلاد النوبة.

عصر الاضمحلال الثانى (1778–1570 ق.م) الأسرات 13–17 نهاية الدولة الوسطى:

كانت نهاية الدولة الوسطى شبيهة إلى حد كبير بنهاية الدولة القديمة، فبعد وفاة الملك "إمنمحات الثالث" ضعفت قوة فرعون، وبدأ الصراع بين حكام الأقاليم، وحلت الفوضى، وعادت البلاد إلى التفكك. وسقطت البلاد فريسة فى يد الأجانب، فقد دخلتها قبائل من البدو أتوا من غرب آسيا يعرفون باسم "الهكسوس" احتلوا شمالها ووسطها، وظلوا بها قرنين من الزمان. يقول المؤرخ المصري "مانيتون "عن أسباب سقوط مصر في أيدي الهكسوس: "إن الرعاة قد استولوا على مصر في سهولة، واجتاحوها في غير حرب، لأن المصريين كانوا يومئذ في ثورة واضطراب".

أساء الهكسوس معاملة المصريين، فأحرقوا المدن والقرى، بغير رحمة، وهدموا المعابد، وذبحوا بعض السكان، واجبروا المصريين على دفع ضرائب جديدة، وشيدوا القلاع والحصون. وبمرور الزمن، تأثر الهكسوس بالحضارة المصرية، فتمصروا وقلدوا الفراعنة فى أسمائهم وأزيائهم وتقاليدهم، وتكلموا اللغة المصرية، واعتنقوا ديانة المصريين.

لم يطمئن المصريون القدماء للهكسوس، وظلوا يكرهون حكمهم، وينظرون إليهم نظرة احتقار لأنهم سلبوهم استقلال بلادهم وحرية وطنهم. وأخذت تقوى الروح الوطنية بين المصريين مع الأيام، وصمموا على طرد الهكسوس وتحرير الوطن.

عصر الدولة الحديثة (عصر المجد الحربي)الأسرات 18–20 (1570–1085 ق.م):

ذكرنا في موضع آخر كيف خضعت مصر نتيجة لضعفها لحكم الهكسوس الأجانب، ولكن المصريين ما كانوا ليخضعوا لمحتل أجنبي، فقد قاوم المصريون بزعامة أمراء طيبة هؤلاء المعتدين، واستشهد الكثير من أبناء مصر، حتى تمكن "أحمس Ahmose I "بطل الاستقلال ومؤسس الدولة الحديثة من هزيمتهم وتشتيتهم. هكذا أعاد "أحمس" لمصر اتحادها، وبدأ فجر عهد جديد زاهر، هو عصر الدولة الحديثة بقيام الأسرة الثامنة عشرة التي أسسها "أحمس" قاهر الهكسوس.

حالة البلاد في عهد الدولة الحديثة:

كان في غزو الهكسوس لمصر ثم طردهم عظة كبيرة للمصريين، فأنشئوا جيشاً كبيراً منظماً لحماية البلاد من الطامعين، وتسابق أبناء مصر في الالتحاق بالجيش بعد أن أدركوا أن الانتساب إليه شرف. وتكونت لمصر أول إمبراطورية عرفها التاريخ، امتدت في قارتي آسيا وأفريقيا، من نهر الفرات شمالاً حتى الجندل القناع الذهبي للملك "توت عنخ آمون" (المتحف المصري بالقاهرة).

تولى الحكم بعد "أخناتون"، واتخذ "طيبة" عاصمة للبلاد من جديد وفى عهده ازداد نفوذ كهنة "آمون". ترجع شهرة "توت عنخ آمون" إلى اكتشاف مقبرته كاملة عام 1922في "وادي الملوك.

العمارة

في الدولة القديمة كانت أهم المنشآت التي شيدت المصاطب والأهرامات وهي تمثل العمائر الجنائزية وأول هرم بنى في مصر هرم زوسر ثم هرم ميدوم وتعد أهرامات الجيزة الثلاثة

التي أقيمت في عهد الأسرة الرابعة أشهر الأهرامات وأهمها في مصر الفرعونية كذلك تمثال أبو الهول الذي تتجلى فيه قدرة الفنان المصري على الإبداع.. وتبلغ الأهرامات التي بنيت لتكون مثوى للفراعنة 97هرما .

كما شيدت القلاع والحصون والأسوار على حدود مصر الشرقية ويعتبر عصر الدولة الحديثة أعظم فترة عرفتها أساليب العمارة والصور الجدارية والحرف والفنون الدقيقة التي تظهر على حوائط بعض المعابد الضخمة المتنوعة التصميمات كالكرنك والأقصر وأبو سمبل ويعد عهد تحتمس الأول نقطة تحول في بناء الهرم ليكون مقبرة في باطن الجبل في البر الغربي بالأقصر تتسم بالغنى والجمال في أثاثها الجنائزي ويظهر ذلك في مقبرة الملك توت عنخ آمون وقد عمد فنانو هذه الدولة – للحفاظ على نقوش الحوائط – إلى استخدام الحفر الغائر والبارز بروزا بسيطا حتى لا تتعرض للضياع أو التشويه.

وآخر ما اكتشف من مقابر وادي الملوك مقبرة أبناء رمسيس الثاني التي تعد من أكبرها مساحة وتحتوى على 15مومياء، أما المسلات الفرعونية فقد كانت تقام في ازدواج أمام مدخل المعابد وهي منحوتة من الجرانيت ومن أجمل أمثله عمائر عصر الإمبراطورية المصرية القديمة معابد آمون وخوفو بالكرنك والأقصر ، والمعابد المنحوتة في الصخر مثل أبو سمبل الكبير وأبو سمبل الصغير.

الأدب

نشأ الشعب المصري ميالا إلى الفنون ومبدعا فيها ويظهر ذلك واضحا فيما تركه المصريون من تماثيل ومسلات ونقوش وتوابيت وحلى وأثاث وأدوات مرمرية ولن ينسى التاريخ فضل المصريين على الإنسانية في اختراع الكتابة التي سماها الإغريق بالخط الهيروغليفي وتتكون الأبجدية الهيروغليفية من 24حرفا.

وقد استخدم المصريون القدماء المداد الأسود أو الأحمر في الكتابة على أوراق البردي كما اهتموا بالتعليم وفى وصية أحد الحكماء المصريين القدماء لابنه كتب يقول "وسع صدرك للكتابة وأحبها حبك لأمك فليس في الحياة ما هو أثمن منها".

وبرع المصريون في الأدب الديني الذي تناول العقائد الدينية ونظرياتهم عن الحياة الأخرى وأسرار الكون والأساطير المختلفة للآلهة والصلوات والأناشيد ومن أقدم أمثله الأدب الديني نصوص الأهرام التي سجلت على جدران بعض الأهرامات لتكون عونا للميت في الحياة الأخرى.

أما كتاب الموتى فهو عبارة عن كتابات دينية تدون على أوراق البردي يتم وضعها مع الموتى لتقيهم من المخاطر بعد الموت وقد اهتم الأديب المصري القديم بالظواهر الطبيعية التي رفعها إلى درجة التقديس فنسخ من حولها الأساطير الخالدة وخاصة حول الشمس والنيل فالشمس هي نور الإله الذي لا يخبو عن أرض مصر وهي سر الدفء والحياة والنيل هو واهب الخير لأرض مصر وهو الطريق إلى الحياة الخالدة.

كما برع الأديب المصري القديم في كتابة القصص وحرص على أن تكون الكلمة أداة توصيل للحكمة وآداب السلوك وظل المصريون حريصين على رواية تراثهم من الحكم والأمثال وعلى ترديدها بأعيادهم واحتفالاتهم وتقاليدهم.

الموسيقى

اشتهر المصريون في العصر الفرعوني بحبهم للموسيقى والإقبال عليها واستخدامها في تربية النشء وفى الاحتفالات الخاصة والعامة خاصة في الجيش كذلك استخدموها في الصلاة ودفن الموتى عرف القدماء التجمل بالحلي التي تميزت بالدقة الفنية العالية وجمال التشكيل واستمدت العناصر الزخرفية من الطبيعة مثل نبات البردي والنخيل وزهر اللوتس كما استخدموا الأحجار الكريمة والحلي في الزينة.